التأثير البوني• في المناطق الداخلية بالجزائر
من خلال مثال مدينة قسنطينة (قارطا)

آ. مهنتل جهيدة*

إذا أردنا أن ندرس تاريخ الجزائر القديم وبالتحديد الفترة التي سبقت الاحتلال الروماني. فلن نجد أحسن مثال من مدينة قسنطينة (قارطا••أو كارتا قديما).
وتقع مدينة قسنطينة في السهول العليا الشرقية ، وهي عاصمة الشرق الجزائري ، وتعرف بإسم مدينة الجسور المعلقة لتعداد الجسور بها.

(الصورة توضح لنا أحد الجسور)

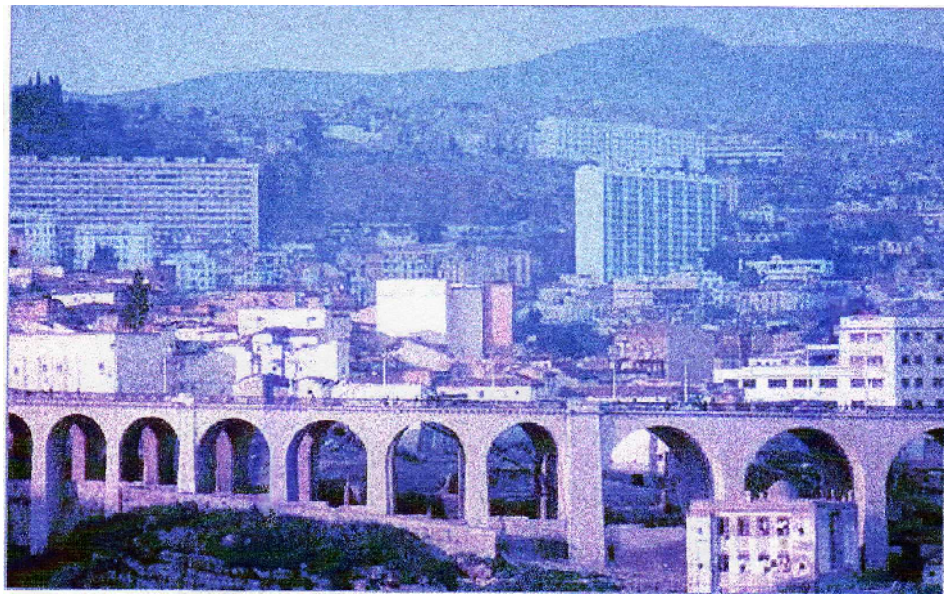

صورة للمدينة حاليا مع أحد الجسور

• - بوني : نقصد به فنيقيو غرب البحر المتوسط الذين امتزجت لغتهم ببعض الكلمات المحلية

* معهد الآثارجامعة الجزائر

•• - قارطا أو كارتا – الاسم القديم للمدينة، ولا يزال الجدل قائما حول أصل الإسم هل هو بوني(مدينة) أو محلي (الصخرة المعزولة)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة لموقع المدينة القديمة، فهو يمثل خصوصيتها التي تعود إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة، فهو يقع فوق صخرة واسعة تحيطها الأخاديد العميقة لوادي الرمال الذي يجري في خانق طوله ١٥٠٠م، ويصل علو هذه الأخاديد نحو ٣٥م.

(الصورة تبين خانق وادي الرمال بقبة طبيعية)

الأخاديد العميقة لوادي الرمال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصورة تبين خصوصية مع المدينة القديمة

وتشكل الصخرة حصنا طبيعيا ، فمن كان يظن أن هذه المدينة الداخلية التي كانت عاصمة الملوك النوميديين، ستكون ثاني مدينة بعد قرطاجة من حيث عدد وأهمية الكتابات البونية المكتشفة بها.

لماذا قسنطينة ؟ إنه ربما معجزة صخرتها التي هيأتها لأن تكون على منوال الاختيارات الفنيقية.

فإن اختلفت المعطيات بين المواقع الساحلية والداخلية إلا أن المعادلة نفسها، فوادي الرمال يعطيها الحماية الطبيعية، بدليل العثور على معظم الآثار البونية على ضفته اليسرى.[١]

قد حاول بعض الباحثين اعتبارها بمثابة مرفأ خصوصا إذا استندنا إلى شهادة بعض المصادر مثل ما يقوله أبو عبيد الله البكري : " ...وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن قد أحاطت بها..." [٢] ، بالتأكيد أن منسوب تدفق الوادي كان أكثر غزارة، ولكن في غياب أي دليل مادي، فلا يمكننا تأكيد أي شيء ويكون ذلك استرسلا لخيالنا.

توضح لنا الاثار التي عثر عليها بالمدينة على الانتشار الكبير للحضارة البونية الذي تعدى تأثيرها من الساحل إلى الداخل.

[1)] Cintas (P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc (publication de l'institut des hautes études) T.56,1954 P14.

[٢] أبو عبيد الله البكري المسالك والممالك، الجزء II . باب الحكمة، قرطاج، الدار العربية للكتاب ١٩٩٢، ص٧٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبين الخريطة توزيع الآثار البونية بالمدينة. أما الجدول فيبين لنا الكتابات البونية التي اكتشفت في أحياء عديدة.

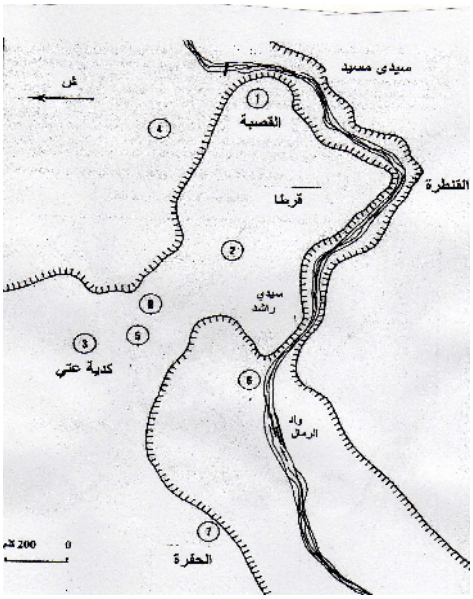

المواقع الأثرية البونية عن

Bertrandy(F), Encyclopédie Berbere T13 P1968

الجدول:

المكان	عدد الكتابات	سنة الاكتشاف
المقبرة الأوربية	٣٤	١٨٥٨
الصخرة	١ وجزء	١٨٦٦
الحفرة	٧٥٠	١٨٧٥ و ١٩٥٠
كدية عتى	١٧	١٨٧٦
المنظر الجميل	١٠	١٨٧٦
المنصورة	جزء	١٩٥٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعتبر معبد الحفرة أهم هذه الإكتشافات، لأنه أعطى أكبر عدد من الكتابات البونية. ولقد اكتشف صدفة في ١٩٥٠ أثناء أشغال بناء مصنع للسيارات لشركة رونو الفرنسية.

يعتلى المعبد الضفة اليسرى لوادي الرمال بعرض ٢٦م وطول ٣٢م، ويعود إلى القرن الثالث ق.م. [٣] .

ويوضح الشكل الآتي مخطط المعبد، الذي اندثر طبعا وبني على انقاضه معبد الإله ساترنينوس الروماني الذي هو استمرارية لبعل حمون.

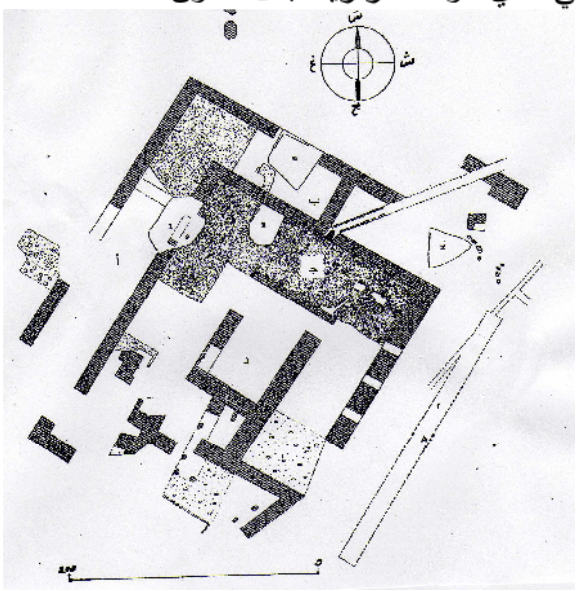

مخطط معبد الحفرة عن

Berthier(A), chrlier®, le sanctuaire punique d'El Hofra

- وإذا قارنا مع ما كان موجودا بفينيقيا، فإننا نلاحظ نفس الوضعية تقريبا، أي وضعية المعابد بالنسبة للوديان مثل معبد أشمون بصيدا الذي يهيمن على نهر آوالي [٤].

وفي ١٩٦٠، اكتشف على الضفة اليسرى أيضا لوادي الرمال حي سكني بوني والكثير من الفخار البوني [٥] .

الصورة توضح بقايا الحي التي اندثرت طبعا. وهو يتكون من ٢ إلى ٣ غرف في أجزاءه.

---

[3] Berthier (A) , Le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine, Paris 1955.

[4] Contenau (G), La civilisation phénicienne . Paris 1949, P162, 167

[5] Berthier (A),Un habitat punique à Constantine,dans Antiquités africaines,T16,1980 PP13-26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آثار الحي السكني البوني

ويمكن أيضا أن نقيم أهمية الوجود البوني بإمتداد مقبرة كبيرة على المنحدرات وهضبة الكدية والمنظر الجميل.

وقد وجدت المدافن على الطريقة البونية حيث عثر على عظام محروقة موضوعة داخل صناديق مصنوعة من الحجر غطاءها له شكل سقف ذو منحدر مزدوج وبعض الأثاث كالمرآة والمقص، وأواني زجاجية صغيرة . - Unguentaria - .

كما وجدت أيضا بحي المنصورة وسيدي مسيد قبور محفورة في الصخر، وكهوف مهيأة ذات شكل مستطيل وبمقاسات صغيرة، وهو نوع بوني [٦] ،يبين لنا هذا الجرد السريع أهمية الإستيطان البوني بالمدينة.

وطبعا يكتسي معبد الحفرة الأهمية القصوى ضمن هذه الآثار لما أمدتنا الكتابات العديدة المكتشفة به من معلومات حول ديانة سكان المدينة قبل المجيء الروماني والنظام الإداري ونوع المجتمع.

وهي لوحات مستطيلة الشكل من الجير الأزرق المحلي تنتهي بجبهة ثلاثية الشكل، تحمل كتابات بونية ذات طابع ديني، فهي لوحات نذرية مهداة للإله بعل حمون، والمعبودة تانيت (محفوظة في متحف قسنطينة ومتحف اللوفر بباريس).

وما يلفت الانتباه في لوحات الحفرة أن الإله بعل يسبق تانيت في الترتيب عكس ما عثر عليه بقرطاجة وتنحصر تقريبا كلها في شكل واحد، فلان نذر للإله بعل وأحيانا معه تـــانيت (وجـــه بـــعـــل) سمع صوته وباركه.

ومن هذه الكتابات ما يشبه اللوحات التي اكتشفت بقرطاجة في المستويات التي تعود إلى القرن III ق.م حيث نجد نفس الحجم والشكل والزخرفة منقوشة وليست منحوتة ونفس الرموز تقريبا كاليد المقدسة النخيلة، رمز تانيت محاط بالصولجان، الهلال

[6] Gsell (St), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, TVI, P179.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموجه نحو الأسفل فوق القرص[٧] وكتبت هذه اللوحات معظمها بالبونية، والبونية الجديدة أو المتأخرة[*].

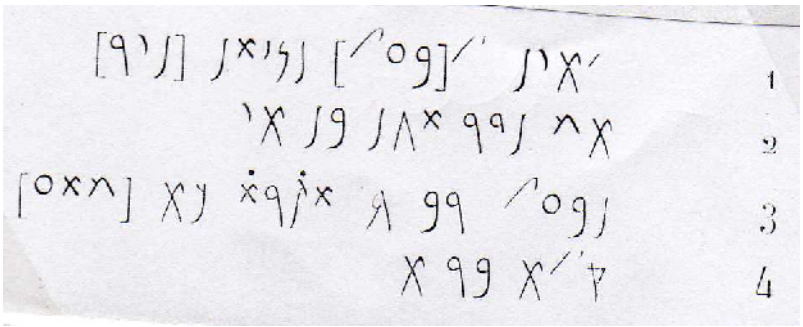

ويحمل كل نص صعوبته، تظهر أحيانا رتبة الهادي أو وظيفته أو ما يشير إلى ذلك. وتكمن أهمية هذه الكتابات في وجود ١٢ منها مؤرخة وتعود إلى حكم الملك النوميدي ماسينيسا (١٦٣-١٦٢ ق.م) و(١٤٨-١٤٧ ق.م) وواحدة لإبنه ميكيبسا (١٢٨-١٢٧ ق.م) اللوحات التالية هي نموذج منها ٦ .[٨]

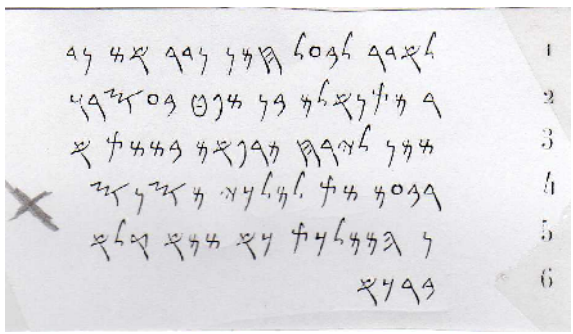

[7] Picard © et (G),Le sanctuaire punique de Cirta dans Revue Archéologique,TXLVII1956,P198

[*]- ظهر مصطلح بوني جديد او متأخر في القرن ١٩، اطلقه الباحثين على الكتابة التي ظهرت بعد سقوط قرطاجة، حروفها أجمل وأميل وهي بداية نشأة الحروف الصوتية.

[8] Berthier(A) et Charlier (A), Le sanctuaire punique, d'El Hofra à Constantine, Paris 1955.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

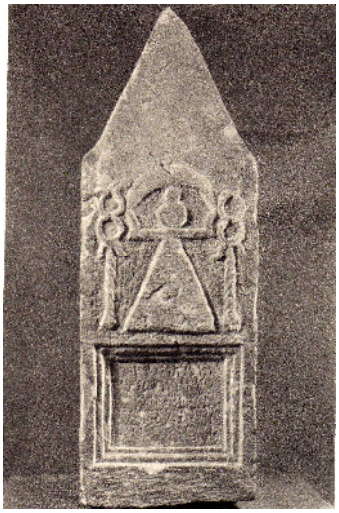

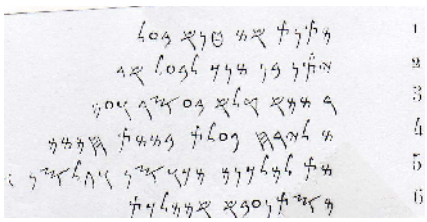

فإن كان أقدم نص يعود إلى ١٦٢ ق.م فإن المعبد أسس بالتأكيد قبل ذلك.
فالزخرفة التي تحملها بعض هذه اللوحات تؤكد أقدميته أي القرن III ق.م.
وهذا ما نلاحظه في اللوحة الآتية٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

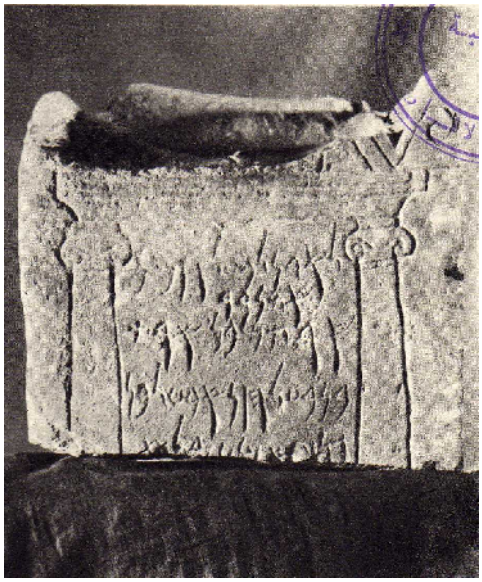

إلى جانب وجود أختام على بعض الجرات ذات أصل إغريقي تعود إلى القرنIII ق.م [٩] ويحمل الأشخاص الهادون معظمهم أسماءا بونية وتحتل طبقة الكهنة الرتبة الأولى حيث تذكر الكتابات الكثير منهم، مثل حملكات، أزربعل، عبد لمقارت، بوداشتارت، عبد أشمون، حنيبعل ويسمى الكاهن كوهين، وهو مصطلح عبري فنيقي. ويقود الجيش حكام أمثال بوداشتارت ابن ماصول، بعل سيلاك ابن وايلون، وغيرهم. وتذكر أيضا الكثير من الوظائف كطبيب، نجار، سباك، وغيرهم، مثل ماجون ابن ادنبعل رئيس النجارين، عبد الملقات ابن أدونبعل وهو سباك. وتضفي الكتابات أهمية أخرى في ذكر الحجاج الذين كانوا يأتون إلى معبد الحفرة بإعتباره أصبح المنبع الديني الثاني بعد سقوط قرطاجة والمحافظ على الطقوس البونية الثقافية والإيكونوغرافية.

هؤلاء الأشخاص الحاملين للأسماء البونية لا يمكن أن يكونوا سكانا محليين اعتنقوا الطقوس البونية عن طريق الملوك النوميديين، لأنهم بالتأكيد يفضلون الإبقاء على أسماءهم المحلية، وهم في بلدهم وأرضهمKوكون الحضارة البونية كانت متزامنة مع الوجود النوميدي فإن ملوكهم لعبوا دورا كبيرا في نشر اللغة البونية بل إن بعضهم سمى أبناءه بأسماء بونية مثل الملك مكيبسا الذي سمى أحد أبناءه مصطنبعل. وكان الرومان يعتبرونهم ورثة قرطاجة حيث تذكر المصادر أن القائد الروماني سكيبيو ايمليانوس Scipio-emilianus سلم الوثائق التي انقذت من حريق قرطاجة للملك ميكسبا،أيضا حملت عملة الملوك النوميدس الحروف البونية وبعض الأساطير البونية.

9) Cintas (P),Fouilles puniques à Tipasa, dans Revue Africaine 1948, P30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فصحيح أن الفنيقيين أتوا بأسس حضارية إلى المغرب القديم ، ولكن هذا لا يعني أنهم كانوا غير مستقرين وليس لديهم أي نظام سياسي ، خصوصا أمام صمت الاثار، وإجحاف المصادر التي لم تذكر إلا القليل عنهم ، ولا تذهب إلى أبـــعـــد من القرن III ق.م ، ولكن عندما يذكر هيرودوت هؤلاء اللوبيين المزارعين، أي المستقرين، فهذا يعني أنهم عرفوا الزراعة قبل الفنيقيين. وإن كانوا قد تأثروا بالديانة البونية، فإننا نعرف أن السكان المحليين للمغرب القديم اعتنوا اعتناءا كبيرا بموتاهم مثل الفنيقيين، والدليل الكبير هو الانتشار الهائل للمقابر الميغاليتية من دولمن وبازينة في كل المناطق تقريبا ، وربما هذا التأثير البوني الكبير هو دليل على أن المغرب القديم كان منفتحا على الحضارات السائدة والمسيطرة انذاك في كل حوض البحر المتوسط.

المراجع :

(1) Cintas (P), Contribution à l’étude de l’expansion carthaginoise au Maroc(publication de l’institut des hautes études)T.56,1954 P14.

(٢)أبو عبيد الله البكري المسالك والممالك، الجزء II . باب الحكمة، قرطاج، الدار العربية للكتاب ١٩٩٢، ص٧٢٨.

(3) Berthier (A) , Le sanctuaire punique d’El Hofra à Constantine, Paris 1955.

(4)Contenau(G),La civilisation phénicienne . Paris 1949, P162, 167.

(5)Berthier (A) , Un habitat punique à Constantine, dans Antiquités africaines, T16, 1980 PP13-26.

(6)Gsell (St), Histoire ancienne de l’Afrique du Nord, TVI, P179.

(7)Picard © et (G), Le sanctuaire punique de Cirta dans Revue Archéologique, TXLVII, 1956, P198.

(8)Berthier(A) et Charlier (A), Le sanctuaire punique,d’El Hofra à Constantine, Paris 1955.

(9)Cintas (P), Fouilles puniques à Tipasa, dans Revue Africaine 1948, P30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com